الخطاب اللّغوي طريقٌ لبناء الهويّة والملكة المعرفيّة لدى الفرد والجماعة

أ. د شفيقة العلوي

أستاذة محاضرة أ في العلوم الصوتية واللسانية

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة – الجزائر

قسم اللغة العربية وآدابها

الملخص:

إنّ اللّغة اليوم بخطابها المتنوّع الأشكال والمضامين تعدّ عاملا رئيسا يساهم في بناء الشّخصية الفرديّة والجماعيّة، ويحفظ الهويّة، ويحميها من الانسلاخ والذوبان. وبهذا يتقوّم المجتمع وتُصان الافكار وتحفظ العقائد وتبنى الملكات .فالخطاب اللغوي – إذًا–، علمٌ وسلاح استراتيجيّ في يد من يدرك وظائفه وأبعاده المستقبليّة وتفوّقه على كلّ الأصعدة .

الكلمات المفتاحية:

اللغة، الخطاب اللّغوي، اللّغة والوعي، اللّغة والهويّة، اللّغة والمعرفة.

Résumé:

La langue est devenue aujourd'hui –à travers tous ces discours- un élément important qui aide à construire la personnalité individuelle et sociale, persiste la citoyenneté, la connaissance et les coutumes. Le discours linguistique – donc- est une science et une arme stratégique qui pourra jouer un grand rôle dans la construction de l'avenir de l'être humaine ses compétences mentales ,scientifiques et sa supériorité.

Les mots clés:

- Langue,discour linguistique, langue et connaissance, langue et identité-langue et cognitive.

مقدمة:

إنّ اللّغة جزء من هذا المجتمع الواسع الضّارب في كلّ مكان. وهي لذلك تعدّ ظاهرة جماعية يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم الفكرية والطبقية والعقائديّة.

إنّ الخطاب اللّغوي يقود الفرد ويُقوّم المجتمع، ويبني الشّخصية الفردية والوطنية، ويضمن بذلك بقاء المجتمع واستمرار حضارته عبر الزمن، وانفتاحه على الآخر وعلى الحقول المعرفيّة وانخراطه في أداء الوظائف.

1- الخطاب اللّغوي ... هويّة ووعي:

إنّ الخطاب اللّغويّ وسيلة الفرد والجماعة للتّعبير عن المشاعر والعواطف والأفكار. إنّه أداة التّفاهم وتحقيق التوّازن الروّحي والفكري الذي يطلبه الإنسان داخل محيطه. فاللغة بأصواتها ومفرداتها ومعانيها الكامنة في ذهن الجماعة الناطقة تغرس المبادئ وتساعد على بناء العقول وتنشئة النّفوس وإحياء الضّمائر .

إنّ الخطاب اللّغوي يحمل بين أصواته الفونولوجية قيماروحيّة تعكس أخلاقيات المجتمع ورؤاه المستقبلية، فمن لا لغة له لا وعي له ولا مستقبل له.

إنّ الخطاب اللّغوي مؤسسة اجتماعية إنسانية وحضارية، ينصهر فيها الفرد والجماعة –على حدّ سواء– ويمارسان سلوكاتهما باللّغة الأم / الوطنية، ويحفران جذور التاريخ الانساني بمعاول لسانية . (فقلب الشّعب ينبض من لغته. وروحه تكمن في لغة الآباء والأجداد)[1].

إنّ الخطاب اللغّوي هو (مسكني ... موطني ومستقري ...حدود عالمي ... معاليم هو تضاريسه، ومن خلاله أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح)[2]،هو ذاكرة الأمة ومستودع تراثها ورمز سيادتها الوطنية والجغرافية.

إنّ الخطاب اللّغوي–أيًّ كان– يعدّ بحقّ مرآة الوعي الآني، تعكس الحاضر والمستقبل، فيتمكّن بها الطفل منذ ولادته – من تعلّم المفاهيم واكتساب التصورات، وبناء عالمه

الفكري الخاص (فالناس لا يعيشون فقط عالم الأشياء الذي يحيط بهم، وفي نطاق عالم الحياة الاجتماعية بل يعيشون أيضا في نطاق عالم لغة الأم ... إننّا نبني العالم الذي يحيط بنا وفق عالم اللّغة ...فيصبح عالما آخر مغايرا)[3].

إنّ إنسان اليوم مأسورٌ بلغته، فهو إذ يكتسب -منذ طفولته المبكرة- اللغة الأم يكتسب معها بكيفية باطنية لا واعية أسلوب الحياة وقواعد التفكير وآليات التّحليل والاستنتاج والتّقييم[4].

فيحفر جذور تاريخه بمعاول لسانية وألفاظ معجمية تحلّل له العالم الداخلي والخارجي وتعينه على الفهم واكتساب الخبرة ،والتّطلّع بوضوح نحو المستقبل؛ فاللّغة بخطابها قوام الإنسانية .

فلا وجود لأمّة ولا أمل في ثورة كاسحة أو انفتاح علمي عالميّ الأفق إلا إذا مكّنت الشّعوب للغتها وفعّلت خطابها داخليا وخارجيا. فتضمن-بذلك- اللّحاق الأمم المتطورة والثبات على الخصوصيات المرسّخة لهوية الفرد والجماعة على حد سواء[5].

إنّ الخطاب اللّغوي أداة طيّعة تبني كرامة الفرد والشعوب، وتغرس فيهم قيم الاحترام والانتماء التي يتوارثونها جيلا بعد جيل. فهو يصنع ملكة الوعي عند الإنسان فردا كان أو جماعة، ويؤهله لمعرفة الذات واستكناه دواخله، ويحدّد نظرته إلى العالم. ويؤثر فيسلوكاته معدّلا إياها. إنّه (وسيلتنا الأساسيّة لنقل المعلومات في المجتمع البشري .. وقادر على ما هو أكثر من ذلك ... إذ يمكنه أن يصوغ العالم بمعنى آخر ... إنّه بمثابة منشور تحليل الطيف الذي ننظر من خلاله إلى العالم).[6]

ليست اللغة ولا خطابها مجرد أصوات وألفاظ يعبّر بها الفرد أو الجماعات عن أغراضهم، ويكشفون عن المقاصد. وليست مجرد دلالات ومعان مجردة أو حسيّة. وإنّما تعدّ أكثر من هذا وذلك؛ إنها الإشارات الصّوتية الصادرة عن الجهاز النّطقي والإشارات الروحية التي تومئ إليها النّفس والحركات التي تصدر عن الجوارح والألوان التي تعكس الدواخل والعادات والمراسيم ومختلف الاصطلاحات التي تترجم الفكر في مختلف نواحي الحياة الإنسانية

التّواصلية [7](إنّ لغتنا القوميّة هي لساننا القومي لساننا الاجتماعي ... إنها ليست لهجة خاصة ... إنها كلّ اللّهجات التي يتلاغى بها المواطنون ... تعبّر عن فكر الجماعة ووجدان الجماعة). فالعالم الذي نعيش فيه والوعي به يتحلّل وفقا للّغة وخطابها. [8]

2– الخطاب اللّغوي يفعّل النّظام المعرفي ويرسّخ الترّبية:

نظرا للأهميّة الكبرى التي تحتلّها اللّغة بخطابها، فقد أضحت التربية الحديثة –اليوم– تنادي بضرورة أن تحتلّ اللغة واللغة الأم بوجه خاص مركز الصّدارة. وتكون الأهمّ ضمن البرامج التعليميّة البيداغوجية، وأن يتمّ التّعليم الأساسي بها، لا بغيرها من اللّغات الأجنبية أو اللهجات المحليّة[9].

إنّ اللغة بخطابها المتنوع مهارةٌ لسانية وفكرية، فهي ليست مجرّد وسيلة للتّعبير عن الفكر والوجدان ونقل الخبرات فحسب؛ بل تعدّ بلا مراءَ أداة طيّعة لتحقيق التّوازن الروحي في الفرد والجماعات وغرس قيم الترّابط والتعاون والتّكافل الاجتماعيين.

إنّ الخطاب اللّغوي تلقٍ وإنتاجٌ فهو مهارات ومفردات وأنظمة باطنية يستقبلها الطفل منذ ولادته بكيفية لا واعية ويخزنها في ذاكرته طواعيا، فإذا اعتاد لسانه عليها وعلى النطق على منوالها انتقل إلى معرفة الفنون البلاغية والجمالية والشعورية. ويبلغ بذلك درجة من الإتقان والإبداع، ويتمكّن من التّواصل اللّغوي السّليم عن طريق أداتي النطق الصوتي (الحروف) والكتابة الحرفية (أي الخط) وبهذا ينخرط المتلقي في نشاط ذهني يهدف إلى نقل رسالة إلى الآخرين[10]، يتوّصل بها إلى تحقيق نمو قوى الإنسان الطبيعية والعقلية والأدبية والجمالية والفنية وتغذية روحه وعقله معا[11].

فيتمكّن من مواجهة مشاكله الداخليّة والخارجية.

إنّ الإنسان يولد صفحة بيضاء. ولا يغدو عالما أو صالحا بذاته، بل بالقيم الروحية والأخلاقية التي يغرسها فيه الوالدان أوّلاً منذ ولادته، ثمّ المدرسة ثانيا بخطاباتها اللغوية

والعلمية والإنسانية والتربوية ككلّ. فبدون هذه الخطابات ينشأ الطفل كبهيمة حيوانية تحرّكها الغرائز والشهوات الباردة، وتدفعه القوى الشيطانية إلى فعل ما ينبذه المجتمع .

إنّ الخطاب اللّغوي في المدرسة التي تعدّ بحقّ المكان الصناعي المهيّأ فعلا لاستكمال دور الأسرة التربوي هو الذي يغذي الفرد عقليا ونفسيّا، ويمكّنه من ممارسة دوره في الحياة الاجتماعية واختبار معارفه وصقلها، ويجنّبه إذا كان -إيجابيَّ الوظيفة والهدف- السّلبية والعدوانية المضللة. فالمدرسة إنما وُجدت لتخدم الفرد والمجتمع باللّغة المثالية والخطاب الهادف(12)، الذي يرسي قواعد الاقتصاد المعرفي ويوفر آليات الصناعة المعرفية والعلميّة المستدامة، ويمكّن من ممارسة التّفكير الايجابي والاختيار النقدي الواعي، الذي يفضي في الأخير إلى تحصيل المكتسبات المعرفية والمهارات العقلية البعديّة(13). وبهذا فإنّ الخطاب اللّغوي سيساعد -حتما- المؤسسة التربوية على الاضطلاع بدورها التعّليمي البيداغوجي وتحقيق التوافق الطبقي والفكري بين الفرد المتعلّم ومجتمعه. فيتعلّم كيف يحافظ على ثرواته المحلية، ويعدّل من سلوكاته السّلبية، ويتحرّر من قيود المعرفة الذاتية الفرديّة . وينطلق نحو المعرفة الجماعيّة والعالمية الأبعاد التي تسمح له بالانصهار الايجابي في الحضارة الجديدة، حضارة القرن 21، ومواجهة قوة التغيير بعقل مبدع وفكر مصقول وروح مهذبة وشخصية ثابتة أمام المطامع الخارجية والصراعات التربوية(14).وكذا التّمرّن على التّحليل والاستنتاج والمقارنة والحكم استنادا إلى أنّ الاكتساب اللغوي وحسن أدائه إنّما هو(بناء ونسج وصياغة لفظية لمعان وأفكار تختلج في ذهن منتجي اللغة ومتلقيها ... فيجب أن تُعلّم اللغة في إطار تلك العلاقة الحيوية التي تربط اللغة بالفكر(15)). فاللغة أو الخطاب اللّغوي (كيان ذو طبيعة كليّة ... في حياة البشر. فهي جزء لا يتجزّأ عن ماهية الفرد وهويته. وهي المشكّل لنشاط أفراد المجتمع الواحد والمعبّر عما يأتون به من أفعال ويحسون به من مدركات ويمارسون من تقاليد ويؤمنون به من معتقدات. إنّ اللّغة نسق مندمج ونظام متكامل ..(16).) .وبذلك تتمكّن اللّغة بخطابها المتنوّع من ترسيخ الصّور الذّهنية في عقل الفرد والتّأثير في أدائه اللغّوي وتحصيله التّعلمّي المعرفي وتمثلاته الرمزية؛

(إنّ فكر الإنسان يكون في الألفاظ والمعاني معا[17]). وإنّ (البنية اللّغويّة أو التركيب اللّغوي هو الذي يحدّد الفكر ويسيطر عليه سيطرة كاملة. ولذلك فإنّ معرفة البشر بهذا العالم تختلف باختلاف اللغات التي يتكلّمون بها)[18]... وينتظمون وفقها. وقد صدق نؤام تشومسكي حين جعل اللغة تحتلّ موقعا مركزيا في علم النفّس؛ بحيث تُعنى أي اللّغة باكتشاف الحقيقة الذهنية الكامنة في الأداء الفعلي الممارس حقا[19] الذي يعكس الفكر والأنا.

3- الخطاب اللّغوي ...والوحدة الدينيّة:

إنّ اللّغة بخطابها المتنوّع هويّة توُحّد أبناء المجتمع. فها هي العربية الفصحى قد استطاعت أن توحّد بين القبائل العربية -في جاهليتهم-وتجمعهم تحت راية قريش، ولمّا جاء الإسلام انطوت تحته شعوب على اختلاف مللها ونِحلِها وكوّنت وحدة روحية (لها بلاد تقطنه وتاريخ ترجع إليه ولغة حيّة يُتكلّم بها وإرادة تحمل على السّير في سبيل الوصول إلى المستقبل الواعد الطموح)[20]. (وما الفضل في صمود اللّغة العربيّة أمام الهجمات الشّرسة التي تعرّضت لها الأمّة والتحّديّات العنيفة التي واجهتها إلا القرآن الكريم[21]).

4- الخطاب اللّغوي والأمن الثّقافي العالميّ:

إنّ هيمنة اللّسان على الشّعوب أقوى من أيّ سيطرة سياسيّة أو عسكريّة، إنّ اللّغة ثقافة وتوحُّد. ف(الذين يتكلّمون لغة واحدة يكوّنون كلاًّ موحَّدا ربطته الطبيعة بروابط متينة، وإن كانت غير مرئية. ومن هنا كانت اللّغة هي الهدف الرئيسي عند المستعمرين الطامعين في استعباد الشعوب ومحاولة السّيطرة عليها. ولن يتحوّل الشّعب أوّل ما يتحوّل إلا من لغته .إذ يكون منشأ التّحوّل من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع عن نسب لغته، انقطع عن ماضيه ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في الوجود)[22].

إنّ الدّعوة إلى التّمسك باللّغة هي دعوة إلى التّحصّن بثقافة الأمّة وقيمها وحضارتها (فاللّغة هي أمارة على شخصية الأمة وذاتيتها الثقافية. ولا تتجلى الذاّتية الثقافية لأيّة أمّة إلا عبر لغتها القومية. لأنّ الذاتية الثقافية تتمثّل في التراّث الفكري والرّؤى الحضارية للمجتمع)[23].

فإذا أسِرتنا اللّغة بأبعاده الداخلية والخارجية، بقوالبها التّجريدية ومعانيها وتراكيبها الثّرية، بقوة منطقها ورقة أساليبها، برصيدها المعجمي المتنامي والمواكب للتقنيات الحديثة والتّنمية المستدامة تمكنّت –حينذاك–الشعوب من أمنها وحمت ثقافتها من أيّ غزو فكريّ خارجي تكاليّ، أو تبعيةّ أجنبية (واعلم أنّ لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمّة أو الجيل الغالبين)[24].وها هي العربية حين كانت قويّة بدينها وأبنائها زمن انتشار الإسلام والفتوحات غد التأليف لا يتمّ إلا بها . وأمّا البحث فيها وفي ألفاظها وأصواتها ومعانيها فاعتزازٌ وافتخارٌ، وهو ما أكّده علماؤنا القدامى إذا يقول البيروني (والهجو بالعربيّة أحبّ إليّ من المدح بالفارسية)[25]. ولم يكتف الآخر–الغرب– بترجمة مؤلفات العرب المتنوعة كمؤلفات ابن رشد وابن سينا والرازي والخوارزمي وابن خلدون الخ؛ بل نقل أيضا مؤلفات اليونان التي ترجمها العرب ككتب الفارابي وأرسطو (والحقّ إن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني في القديم إلا من ترجمتها إلى اللغة أتباع محمد، وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات اليونان، فكتاب فن الشعر لأرسطو لم تعرفه أوروبا إلا عن طريق تلخيص ابن رشد الذي ترجمه المستشرق الألماني هرمن في القرن 13 للميلاد)[26].

إنّ اللغّة تنقل المعارف وتغرس في النّاشئة حبّ التراّث الثقافي والاجتماعي وحبّ التمّسك والاعتزاز، وبهذا يكون للأمة والجماعات كيانهما وتماسكهما وشخصيتهما المتميزة المستقلة. (إنّ التّاريخ يحتّم علينا أن تكون اللّغة التي نتعلّم بها هذا التّراث هي اللّغة التي تُبقي على هذا التّراث وتحافظ عليه، وتعمل على نشره وازدهاره ... وأعني بها العربية)[27].

فاللّغة تكوّن النّاس أكثر مما يكونها النّاسُ. وتصنع العقول والأفكار والقيم أكثر مما تصنعها العقول والأفكار، فهي تؤسّس لفكرهم ووعيهم.

إنّ الأشخاص الذين ينطقون بألسن متباينة فإنهم يرون العالم بكيفيات مختلفة. ولذلك أصرّ إدوار سابير على ضرورة عدم فصل اللّغة عن الثّقافة والأنماط السّلوكية للأفراد (فاللّغة جزء أساسيّ من هذه الثقافة بل أحد مكوناتها الأساسية... إنّها باستعمالاتها حلقة اتصال من نشاط بشريّ جماعي .... إنّها نمط من العمل[28] ، وتمكين الذات وصناعة الإنسان وفكره وصون له من الأطماع الخارجية، وتأكيد لتفوّقه الذي يتجسّد فعليّا حين يصبح التراث الثقافي الوطني القومي أساسا في التّركيبة الثقافية للمجتمع. فهو يوقظ فيه الإحساس بالمسؤولية وبمعالم الشخصية الوطنية السّيادية؛ ويحول دون انصهاره في الآخرِ الدّخيلِ .

وإذا كانت اللغّة تصنع الأمن الثّقافي للشّعوب والأفراد، فإنّها أيضا طريق لتحقيق:

1- الانفتاح الكامل والواعي لشخصية الإنسان أيًّ كان.

2- تغذية عقله وتوسيع دائرة إبداعه المادي والمعنوي.

3- تمكينه من التّعبير عن ذاته في ظلّ عولمة الفكر والثّقافة[29].

إنّ العولمة الثقّافية – التي جعلت الشّعوب وكأنّها قرية صغيرة تحرّكها التّقنيات العلميةّ الحديثة ومحتواها الرقمي– تدفع الشعوب والأمّة العربية بوجه خاص إلى أن تعزّز دور اللّغة حتى تمكّن لاقتصادها المعرفي (ومن المنتظر أن يتعاظم هذا الدّور مع اتّساع مجالات المعلوماتيّة في تطبيقاتها التّعليميّة والثّقافية. ومن هنا يعدّ التّخلّف اللغوي تنظيرا وتعلّما واستخداما ومعالجة آلية بواسطة الحاسوب من الأسباب الرئيسية للفجوة الرقمية. وهذا يفسّر ما تبديه شعوب العالم حاليا من اهتمام شديد بلغاتها القومية فيما يتعلّق بمشكله الانترنت أو إحياء فنون لغتها وعلومها وتمكين لسانها في المحافل الرسمية والمنشورات الحكومية والإدارية)[30].

إنّ في وحدة اللّغة توثيق لأواصر التوّاصل الثّقافي والاجتماعي بين الشعوب، وتمكين لهيمنتها فالثورة الرقمية تتيح فرصا وتحديات للحكومات العربيّة للنّهوض السريع بمجتمعاتها

واقتصادياتها على أسس متينة تثبّت الحداثة والإصلاح، فلا تُصادر الضّمائر أو مناهج التفّكير وآليات الإبداع ولا يزُلزل عرش المستقبل.

5- اللّغة نماءٌ وخطابها تفوّق:

إنّ المجتمعات تتفاعل وتتقاسم الموروث الحضاري والثرّوة المعرفية وتتبادل المناهج العلمية وتصدرها للشّعوب الضعيفة المغلوبة حتى يتحقّق لها التفوّق على جميع الأصعدة (واللّغة تحكي هذه العلاقات بما تأخذه من المجتمعات الأخرى وبما تعطي هذه المجتمعات. وليست هناك لغة لم تأخذ من غيرها ولم تعط غيرها. ولغتنا القوميّة قد أعطت اللغات الأوروبية ... كثيرا من الألفاظ الدالة على العلم والتجربة ... واحتفظ بعضها بصورته العربية وإن دُوّن بحروف لاتينية وتمثّل بعضها الآخر. وبقيت فيه دلائل على أصله العربي)[31].

إنّ التّطوّر الرّهيب للعلوم في القرن 20 شهد صراع القوميات، وسكون الإبداع اللغوي وجمود رصيد المعجم العربي على الرغم من استمرار تطوّر الحياة الاجتماعية والاقتصاديّة والسّياسيّة .

وعجزت النّخبة وأهل الاختصاص عن وضع تسميات لمظاهر الحضارة الصّناعية الجديدة، وبات لزاما على المجتمع العربي التّقرّب من هذه الحضارة حتى يستمرّ في وجوده الآني. ويؤسّس لمستقبله فلا يبدو عاجزا عن حكاية هذه الحضارة أو التعايش معها. وبذلك يحفظ وحدته فلا يتزعزع كيانه، ولا يتشتّت إلى دويلات صغرى تسطو عليها ثقافة الغالب، وتسلبها كلّ شعور بالانتماء والهويّة والسّيادة.

فاللّغة -إذاً-تحفظ أمن الشّعوب الاجتماعي والسّيادي. وتصنع فكرهم. وتبني وعيهم بالمستقبل وتوجّههم نحو ما يجب أو ما يحسن أن يكون في الغد. فلا يبقى المتكلم /المتلاغي أسيرَ اليوم - الحاضر فقط أو يتيه في التاريخ والماضي، بل يرنو للمستقبل بعيون يقظة وجوارح شاعرة وعقول غارقة ومشبعة بالمعرفة المستدامة، إنّ اللّغة تعدّ بلا مراء وعاءً للعقل وسياجا يحفظ أبنائها من الانسلاخ والذوبان.

6- واجبنا نحو اللّغة حتى تصبح وعاءً للعقل ووعيا بالمستقبل:

وحتى تستطيع اللّغة والعربية بوجه خاص تأدية هذه الوظائف، وتتمكّن من ألسنة وعقول أبنائها فترسّخ وتؤمّن الثّقافة الوطنية / والقومية في ظلّ العولمة التي تسعى لفرض لغة واحدة هي اللّغة المتفوّقة اقتصاديا، لا بدّ أن تعمد الجهات الوصيّة إلى:

1- تفعيل الثّقافة العربيّة حتى لا تضمحلّ الهويّة، وتذوب الشخصية القوميّة والفرديّة أمام تحديّات العولمة اللّغوية والإنتاج العلمي المتميز للبلدان النامية الذي فرض اللغة الانجليزية وجعلها تحتلّ المرتبة الأولى؛ إذ تهيمن على 59 دولة تليها الفرنسية التي يبلغ عدد الدول الناطقة بها 28 دولة.

إنّ اكتساح اللغة الانجليزية للشّعوب جعلها تهمين بمفرداتها وقوالبها فأمركَتْ ثقافةَ البلدان وأثّرت في سلوكات الأفراد وأنماط حياتهم الاجتماعية وحتى مأكولاتهم، فلا بدّ من تعزيز الشّعور بالهويّة الفرديّة والجماعيّة حتى تتمكّن الشّعوب من العيش في استقرار وأمن. واللّغة هي الأقدر على تفعيل هذا الدّور (فاللّغة في العالم أداة للهويّة الإنسانية، لا يمكن الاستغناء عنها من أجل مواجهة متطلبات الثّقافة المحليّة والمحافظة على السّلوك الاجتماعي وجعله يؤدي وظائفه تحت مختلف الظّروف الاجتماعية.[32])

2- تفعيل دور التّعريب والترّجمة - في البلاد العربيّة-حتى تغدو اللّغة-والعربيّة بوجه خاص لغة الفكر والعلم والحياة معا (فليس التّعريب تعريب التّعليم والبحث العلمي عملا لغويّا أو علميّا أو ثقافيّا فحسبُ بل هو أبعد مدى، فهو عمل يقع في سياق حركة الإنسان العربي للتّخلص من الجهل والتّخلّف اللذين أورثته إياهما عهود الغربة التي نأت به عن موقعه[33]).

إنّ من يتعلّم بلغته الأم هو الأقدر تربويا واجتماعيا على قيادة نفسه وصناعة الإبداع والحضارة وبذلك يحارب التّخلّف والتبّعية والأميّة العلميّة.

3- وضع خطة استراتيجية شاملة (وطنية وعربية) ترمي لتمكين اللغة الأم في جميع المجالات الترّبويّة والثّقافية والإعلاميّة والاقتصادية؛ وعدم التلكّؤ في استصدار

القرارات والمراسيم .وأن تتحوّل هذه القرارات إلى وسيلة ضغط في الإعلام حتى ينتشر المدّ التوّسعي للغة لأم.

4- تمكين اللغة الأم من الإعلان الإشهاري والخطاب الإعلامي، وتعريب أسماء المحلات والمؤسسات الخدماتية والمراسلات الإدارية، وجعل اللّغة الأمّ مطلبا أساسيّا وإلزاميّ الأجل الظّفر بالوظائف الحكومية أو الخاصة .وّبذلك نضمن سيرورة اللغة وانتشارها الواسع وتفوّقها .

5- رسم سياسة لغويّة ترمي إلى تثمين لغة منشئ معياريّة تتسم بمفرداتها البسيطة لا المعقّدة وجملها القصيرة لا المركّبة . وتنأى عن الوحشيّ، وتوظيف المصطلحات التي يستطيع القارئ البسيط إدراكها في زمانه في ظلّ الثّقافة المتمكنة في محيطه الداخلي والخارجي -لأجل الوصول باللغة إلى الثّراء والنّمو.

6-تفعيل دور الأقمار الصّناعية فهي قادرة على ترقية اللّغة الأم، وتمكين استعمالها في مختلف البرامج. فيتعزّز بذلك الشّعور بالهويّة والوحدة الوطنيّة والقوميّة.

7-تشجيع البحث العلمي والتأليف باللّغة الأم بغية تحسين مردوديّة متكلميها وتعميق ملكاتهم اللّسانية والمعرفية العقليّة.

8- استبعاد العامية والألفاظ الأجنبية من اللّغة الرسمية الفصيحة.

فمن واجبنا في عصر العولمة الثقافية والاقتصادية مواجهة التّشتت اللّغوي ومحاربة الانصهار في حضارة الآخر ومقاومة الانسلاخ الذاتي والجماعي. ولن يُتمكَّن من هذا إلا إذا غدت اللّغة الأمّ- عنوانُ الهويّة والوعي والسّيادة-شيئا مقدسا والتّلاغي بها شرفا لأبنائها.

إنّ الحفاظ على الهويّة لا يعني الجمود والسّكون؛ بل هو دعوة أيضا للانفتاح على ثقافة الآخر انفتاح الواثق لا المنبهر، اليقظ لا الأعمى، انفتاحَ المبدع لا المقلّد فحسب؛ انفتاحًا لا يكون على حساب تغييب لغة المنشأ / اللغّة الأم أو تهميشها.

ومن هنا يتوجّب علينا تعميق تدريس اللّغة الفصحى وتسهيل نشرها في مجالات الحياة كافة والتخطيط السياسي المحكم لهذه العملية، وتوفير التّقنيات الحديثة التربوية

والديداكتيكية حتى تصبح اللّغة بخطابها أداة طيّعة في يد من يستعملها. وبهذا تحقّق البلاد نهضتها وتفوّقها وسيادتها، ويبنى الفرد بداخلها بناء نفسيّا واجتماعيّا وفكريا. ويغدو قادرا على تفعيل الوظائف المنوطة به ؛ فاللّغة أساس لتشكيل الجماعات وبناء الأمّة وتحقيق كيانها الموحّد.

الهوامش:

(1)- محمد أحمد السيد : اللغة العربية وتحديات العصر في التعريب .القاهرة 2000 ص 9-10.

(2)- نفسه ص 14.

(3)- كند راتوف: الأصوات والإشارات ترجمة شوقي جلال .الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1973 ص 7 وما بعدها.

(4)- عبدالعزيز شارف : اللغة العربية والفكر المستقبلي. دار الجيل بيروت 1991 ص 10-12.

(5)- زكي نجيب محمود تجديد الفكر العربي.دار الشروق القاهرة 1971 ص 2 و3 وأيضا عمرو خاطر عبد الغني وهدان :العربية والعولمة – معالم الحاضر وأفاق المستقبل ... مؤسسة حورس الدولية 2013 ص 107.

(6)- نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة الكويت 1980 ص 149 -150 .

(7)- عبد الحميج يونس: مجتمعنا دار المعرف القاهرة 1994 ص 39-40 .

(8)- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي دار الشروق القاهرة 1971 ص 119 ومحمودالسيد، اللغة العربية وتحديات العصر .وزارة الثقافة سوريا 2008 ص 178-180 .

(9)- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1990 ص 23 -36.

(10)- صفاء محمد محمود إبراهيم : مهارات التفكير في تعليم اللغة العربية وتعليمها مؤسسة حورس الدولية 2014 ص 56 -60.

(11)- عبد الله الرشدان : المدخل الي التربية والتعليم .دار الشروق للنشر الكويت. 2012 ص 35 .

(12)- محمد محى الدين إبراهيم : المدرسة الابتدائية في المجتمع . القاهرة 2005. ص 47 -50 وجلال عبد الوهاب : النشاط المدرسي، مفاهيم ومجالاته . مكتبة الفلاح الكويت 1987 ص 100 .

(13)- محي الدين إبراهيم :المدرسة الابتدائية في المجتمع،ص 50.

(14)- محمد منير مرسي: أصول التربية .عالم الكتاب القاهرة 1984 ص 102.

(15)- صفاء محمد محمود :مهارات التفكير في تعلم اللغة العربية، ص 60-61 .

(16)- نفسه : ص 58 و90 أيضا.

(17)- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الاعجاز.دار الشروق 1991،ص 410 – 416 .

(18)- صفاء محمود محمد : المرجع السابق ص 95.

(19)- نؤامتشوسكي: اللغة ومشكلات المعرفة ، دار توبقال تونس، 1998ص 126.

(20)- مجموعة مؤلفين : اللسان العربي وإشكالية التلقي .مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2010 / ص 147 وأيضا محمد السيد : اللغة العربية واقعا وارتقاء وزارة الثقافة دمشق 2010 ص 124 ص.

[21]- نفسه: ص 132 بتصرف .

[22]- شحادة خوري : واقع اللغة العربية عربيا ودوليا .مجلة التعريب العدد 21 2001 ص 30-31.

[23]- ابن خلدون : المقدمة – الدار التونسية للنشر، 1984 ج 1/ ص 457-459 .

[24]- ج/لابوف : حضارة العرب، دار العربي، بيروت ص 567 .

[25]- نفسه :ص 568 .

[26]- جورج شهلا: الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية . دار العلم للملايين بيروت ط4 1976 ص 74.

[27]- جفرى سامسون : المدارس اللسانية، ص 238.

[28]- مجلة الخطة الشاملة للثقافة العربية، تونس 1990 ص 61.

[29]- على محمد رحومة :مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي . الجامعة المغاربية طرابلس 2007 ص 45.

[30]- نقولا زيادة: العروبة في ميزان القومية،دار الثقافة بيروت ط 5 ص 26-30 وأيضا عبد الحميد يونس : مجتمعنا،ص 41.

[31]- محمود السيد :اللغة العربية وتحديات العصر،ص 178.

[32]- شحادة خوري: دراسات في الترجمة والمصطلح، دار الطبيعة الجديدة سوريا 2001 ج 1 ص 168-170.

[33]- أحمد محمد قدور : مقالات في اللغة والهوية ، دار القلم العربي، سوريا 2009 ص 80 .